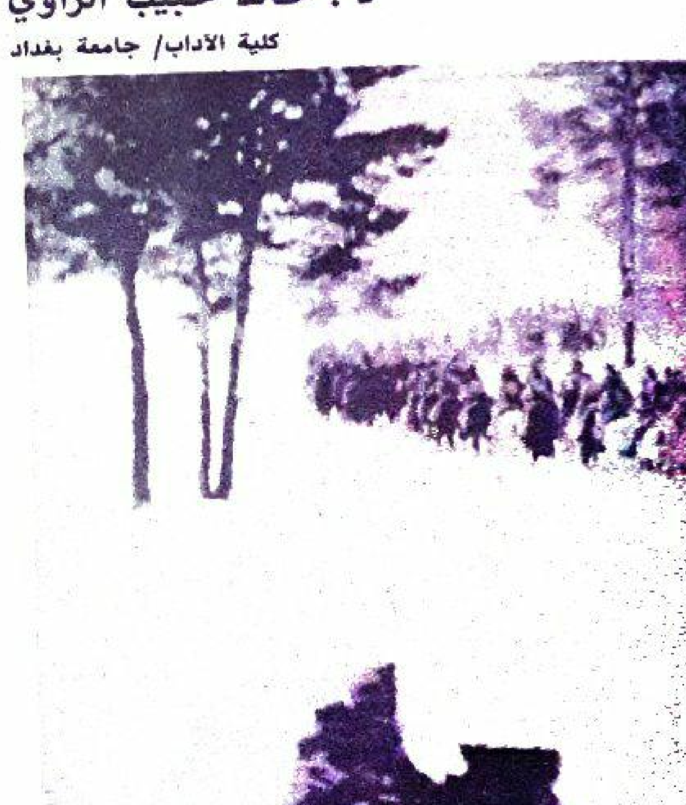
الصحافة العراقية والمذكرات

# جنرال عراقي في الجيش الروسي



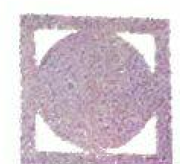
د . خالد حبيب الراوي
كلية الآداب/ جامعة بغداد



لعل من اكثر المذكرات العراقية تعرضاً للتجاهل هي (مذكرات القادري) التي صدرت في بغداد عام ١٩٢٤، والتي وصفت على غلاف الكتاب بانها خواطر مهمة وضعها الميجر جنرال صديق باشا، القادري، احد قواد الجيش الابيض الروسي الذي قضى بضع سنوات في البلاد الروسية، يجوبها من اقصاها الى ادناها، وكلها حقائق مفيدة تهم المولعين بقضية روسيا وانقلابها من القيصرية الى البولشفية.

وتنبع اهمية هذه المذكرات من كونها شهادة شاهد عيان عاش احداث الصراع في تلك الفترة. لكن التعتيم على هذه المذكرات يعود الى تعرضها بالنقد الشديد لدور اليهود في الثورة البلشفية، اضافة الى وصف البلشفية في جانبها المأساوي. فمن هو هذا العراقي؟ وما الذي دفعه للذهاب الى هناك؟ وكيف اصبح قائداً في الجيش الابيض الروسي؟

لنعد الى القصة من بدايتها.



## من هو القادري ؟

ولد صديق القادري في مدينة السليمانية في ١٥ حزيران سنة ١٨٩٤ . والقادري هو اللقب الشخصي الذي اتخذه اثناء وجوده في المدرسة الحربية في الاستانة .

وقد قدمت عائلته الى بغداد في سنة ١٨٩٩ ، وفيها اكمل دراسته في مدارسها الابتدائية والرشدية والاعدادي العسكري ، وانتقل في ٢ آب ١٩١١ الى المدرسة الحربية في الاستانة ، وتخرج فيها حاملاً الشهادة النهائية لرتبة ضابط في ١٧ تموز ١٩١٤ ، اي قبيل نشوب الحرب العالمية الاولى بايام معدودات . وتم الحاقه بالفيلق الحادي عشر المرابط في خربوط وعين ملحقاً حربياً لقائد الفوج الاول من اللواء التاسع والتسعين في وان . وفي ٢٢ كانون اول ١٩١٤ سقط مع كامل فوجه اسيراً في قبضة الروس على الحدود القفقاسية — التركية في (كوتك — قره اورغان) .

وفي تفليس قطع عهد الشرف واصبح طليقاً يتجول بكامل حريته في المدينة ، وفي هذه المدينة اتصل بتجمعات التاتار وتوثقت علاقاته معهم واصبح ضمن تنظيماتهم في مطلع عام ١٩١٧ .

وأخذ التاتار في تنظيم المدارس والجيش على الطراز العثماني . ولما كان القادري ضابطاً في الجيش العثماني ، فقد طلبوا منه المساعدة فاجاب طلبهم . ويقول القادري : (وقبلت تكليفهم بكل سرور لاني لم از اي محذور قومي او ديني او وجداني في هذا الامر) .

وبدأ العمل بتأسيس اول كتيبة من التاتار المسلمين في سيبريا . ويذكر القادري : (وبهذه الصورة ، القيت نفسي في هذا التيار المدهش) .

ومنح القادري رتبة ملازم اول في ٧ نيسان ١٩١٧ ورتبة رئيس (يوزباشي) في ٥ آب ١٩١٧ ورتبة رئيس تام في ٥ آب ١٩١٧ في عهد الحكومة المؤقتة الديمقراطية نظراً للمهارة التي ابداها في تاليف الكتيبة وأنعم عليه بجميع الحقوق التي يتمتع بها الضابط الروسي ، وعين قائداً للكتيبة التي كانت مرابطة في ولاية (بيرمي) . وكانت اتفاقيات وعهود قد عقدت بين القيادة العامة الروسية وبين المفتي الاعظم في (أوفا) لارسال جيوش التاتار المسلمة المؤلفة على النسق الجديد الى ساحات الحرب . وكانت النية قد عقدت على جعل الجيوش الاسلامية بمثابة حجر

الاساس لبنيان جيش حكومة التاتار المستقلة في المستقبل .

وفي هذه الفترة ، دوت ثورة البلاشفة في بطرسبرج وموسكو فارتبك كل شيء . وتغلغل بعض البلاشفة بين صفوف الكتيبة الاسلامية فشاع فيها روح العصيان ، ثم هبوا في وجوه الضباط وفرّقوا من حاول الوقوف امامهم وحبسوا الآخرين . وتمكن القادري من الفرار ، حيث غيّر ملابسه في احدى الليالي ، وتزيا بهيئة رثة جداً وصحبه خادم له ، وراح يتجول في ربوع روسيا وهو يرى امامه احداث الثورة البلشفية مدة شهرين ، ثم اتجه نحو سيبريا لعله يجد منفذاً للخلاص من المأزق الذي كان فيه . وتعرض في رحلته تلك الى العديد من المشاكل والصعاب ووصل الى حدود منشوريا ، وظن انه قد نجا من الاخطار ، ولكن القطار الذي كان يقله توقف في المحطة الواقعة عند الحدود ، ووجد انه مايزال في ارض روسية البلشفية ، وصعد نفر من الجيش الاحمر الى القطار وباشروا بتدقيق جوازات السفر ، وانزل القادري من القطار وفتشوا ملابسه ووجدوا لديه كمية من النقود الذهبية والورقية ، واقتيد الى غرفة مدير المحطة وحجز فيها ، وبعد حديث مع مدير المحطة رقّ قلب المدير له فخبأه تحت منضدته ، وحين عاد ذلك الجمع بعد ساعات لاخذه معهم اجابهم المدير بانه ليس حارساً مسؤولاً عن الناس بل هو مدير محطة ، وتركه الجمع بعد ان حلّ الظلام ، ومر قطار للعمال في غياهب الليل ، وتمكن المدير من ان يركبه فيه ، وكان القطار ذاهب الى منشوريا ، وحين عبر القادري الحدود تنفس الصعداء وايقن انه قد نجا .

وبعد ان استراح عدة ايام قابل الجنرال سيمنوف قائد الجيش الروسي المتطوع ورئيس اركانه الجنرال ناتسوالوف ، وأبرز لهما القادري بعض الاوراق الرسمية والشهادات فعرض عليه الجنرال سيمنوف الاستخدام في الجيش المتطوع ، وقبل ان يوافق استشار القنصل الانكليزي في (خاربين) ، حيث اخبره بان الحرب لم تنته بعد ، وان العودة الى العراق او تركيا امر يكاد يكون مستحيلاً ، وارتأى ان اسلم الطرق هو الدخول في جيش سيمنوف .

وعين القادري في بادىء الامر مديراً للمدرسة الحربية الاسلامية التي انشئت للمونغول والتاتار في بلدة دائوريا . وبعد ان اكمل تنسيق امور المدرسة وتنظيمها على الطريقة التركية ، تم ربطها بقيادة الفوج الاسلامي في شرق سيبريا ، الذي كان حديث العهد ومحدود التجربة ، وتم ترفيع القادري الى رتبة قائممقام (عقيد) وعين مديراً لشعبة الآلات والادوات النارية في دائرة تفتيش الذخائر الحربية للجيش .

وفي تلك الفترة ، التأم مجلس الشورى الاعلى في (ارمسك) وانتخب الامير كولشاك رئيساً لحكومة سيبريا وقائداً عاماً لجيوشها . وقد ارسل كوشاك الى القادري وقابله ، وكان القادري قد رفع تقريراً يتضمن وجوب توسيع الجيش الاسلامي ، وصدرت الاوامر بتأليف اللواء الاسلامي المستقل في شرقي سيبريا ، وعين القادري قائداً لذلك اللواء .

ويقول القادري : (وكان هذا اللواء اول قطعة مسلحة رآها التاتار منذ تقلص حكمهم في التاريخ) .

وبذل القادري جهوده في توطيد الامن . وفي ايلول ١٩١٩ رُفع الى رتبة زعيم (كولونيل) ، ثم عين رئيساً للتجهيزات والذخائر العسكرية لجيوش سيبريا الشرقية وانتدب لرقابة لجنة المبايعات التي زارت اليابان في تشرين الثاني ١٩١٩ ، وفي اليابان ألقى عدة محاضرات في بعض النوادي العسكرية اليابانية . وبعد عودته من اليابان ، سعى الى انشاء فروع للجمعية الاسلامية في مدن الشرق الاقصى .

وبعد ان تسلم القادري قيادة الفرقة ، صمم لها علماً اسلامياً ، وكانت سعة هذا العلم اربعة اذرع مربعة مصنوعة من الاطلس الاخضر ، ونقش على احد وجهيه بالتطريز الفضي صورة تاج اسلامي قديم يشبه تيجان آل عثمان ، ونقشت على الوجه الآخر عبارة (لا إله الا الله الملك الحق المبين — محمد رسول الله الواعد الوعد الامين) وعلى زوايا العلم نقشت كلمات : محمد . دين . وطن . وطليّ طرف عامود العلم بالذهب .

وكان البلاشفة يواصلون الزحف لاحتلال سيبريا وتمكنوا من القبض على كولشاك واعدموه رمياً بالرصاص في ٧ شباط ١٩٢٠ ، واخذ الجيش المعارض للبلاشفة يتفكك تدريجياً ويتراجع والقى قسم منهم بسلاحه . وفي تلك الفترة عاد سيمونوف واصبح رئيساً من جديد .

وتقرر ان يسافر القادري بصفة مفوض الى الحجاز لكي يطلع رؤساء المسلمين هناك على اعمال البلاشفة ولكي يستصدر منهم فتوى الى مسلمي روسيا للتحذير من اعتناق البلشفية .

وفي يوم ٢٠ ايار ١٩٢٠ بدأ القادري سفرته . وفيما يأتي نص الكتاب الموجه الى الزعيم (الكولونيل) القادري من القيادة العظمى لجميع الجيوش الروسية في المشرق الاقصى بتاريخ ١٨ آذار ١٩٢٠ :

نطلب اليكم الشخوص الى جزيرة العرب للمثول امام صاحب الجلالة الحسين بن علي ملك العرب ، وان تقوموا بالمهمة الآتية :

١ — ان تعرضوا على السدة الملكية بلهجة محايدة وبصورة مفصلة واضحة ، جميع الاحوال والتطورات التي حدثت في روسيا في الايام الاخيرة مما رأيتموه بعيني رأسكم وشاهدتموه بانفسكم من الحقائق المؤلمة ، وان تفهموا جلالته ماهية المذهب البلشفي .

٢ — وبعد ذلك نطلب اليكم ان تستحصلوا من جلالته على منشور يتضمن النصيحة للعالم الاسلامي الروسي ويحذرهم فيه من الانضمام الى البلاشفة ومساعدتهم او اعتناق المذهب البلشفي لكي نعلن هذا المنشور على جميع مسلمي روسيا ويكون لهم بمثابة فتوى مقدسة .

ثم ركب القطار الى كوريا ، ومنها ابحر الى اليابان ، ومن هناك ركب الباخرة حيث وصل الى العراق وزار اهله ، وبعد عشرين يوما عاد الى بومبي ومنها ركب الى جدة حيث وصلها في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ . وقابل الملك حسين واستطاع ان يستحصل منه على منشور عنوانه (من الحسين بن علي الى جميع المسلمين في الشرق الاقصى) واهداه بعضاً من قطع كسوة الكعبة ومن ستار الضريح النبوي ، ثم غادر عائدا الى بومبي ثم ذهب الى شنغهاي ووصلها في ١٥ مارت ١٩٢١ ، واتضح له هناك ان الحكومة اليابانية سحبت قواتها واعلنت انها لاتتدخل في امور روسيا الداخلية ، وفي تلك الفترة حدث اضطراب كبير في صفوف الجيش الروسي ، دفع



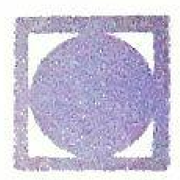


بالعديد من قادته الى ترك الخدمة العسكرية والذهاب الى الخارج وتزعزعت القوى المعنوية للجيش. وارسلت الفرقة الاسلامية لاسناد الجيش المتراجع واصطدمت بالقوات البلشفية حيث محيت عن آخرها. واستطاع البلاشفة تأسيس جمهورية المشرق الاقصى على انقاض الحكومة البيضاء.

وعلى الرغم من الاخبار المحبطة الا ان القادري واصل سفره الى بور — آرتو، وهناك حصل على رتبة جديدة، وهي رتبة لواء. وقال له القائد العام سيمونوف وهو يقلده الرتبة: (بناء على خدمتكم الصادقة والممتازة. ونظراً لما اظهرتموه من الشجاعة والاقدام. انتم وفرقتكم، في نهر اتيفونا، فان المجلس الوطني قد انعم عليكم بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٢٠، باسناد رتبة لواء (ميجر جنرال) مكافأة لما قمتم به من الاعمال. فاهنئكم ياقادري واعزيكم في وقت واحد. اهنئكم لهذه الرتبة السامية التي يندر ان يحوزها غيركم في هذه الحداثة. ولا اجد مناصاً من تعزية رتبة لواء بدون جيش!!)

وكان القادري قد تلقى برقية من السيربرسي كوكس المندوب السامي في العراق مؤرخة في ٢٣ آب ١٩٢١ اباح له فيها العودة الى العراق. ووجد القادري نفسه يشد الرحال عائداً الى العراق بعد ان تلاشت الادارة القانونية والآمال القيصرية في روسيا. ويبقى بعض الوقت بدون ان يشارك في الحياة السياسية. ثم تقرر تعيين القادري، في ٢١ ايلول ١٩٢٢، مفتشاً عاماً للادارة الجديدة في السليمانية، لكنه قدم استقالته في ١٦ كانون الاول ١٩٢٢ وعاد الى بغداد.

وعكف على تدوين ذكرياته التي ما ان نشرها في كتاب حتى هاج ضده بعض اليهود في بغداد. وشكلت المذكرات مادة صراع على صفحات الصحف العراقية في مطلع العشرينات من هذا القرن.



## الصحف والمذكرات

كانت اول شرارة ولدتها المذكرات، كلمة طويلة كتبها «ابن السموأل» تحت عنوان (القادري واليهود، او كيف يتهمون البشرية ظلماً وعدواناً)[٢] وجاء في الكلمة ان الجنرال القادري اورد في مذكراته (ان الثورة الروسية الهائلة وفرقها الفتاكة المفزعة ومبتدعاتها الجهنمية المبيدة لم يقم بها ولم يدر دفتها غير اليهود... وان مؤسس لهذه الفرق الفتاكة هم اليهود او اموال اليهود، فتراهم في كل امة يتظاهرون بالصدق والاخلاص ويسعون تحت شعار الوطنية لنيل غايتهم المنشودة). وكانت هذه النقطة هي مثار الجدل/ حيث كال الكاتب اللوم والتقريع للقادري وراح يستصرخ ضده ويستعدي عليه الرأي العام:

(ايتها الامم القريبة والبعيدة، ايتها الشعوب النائية والدانية... ايتها الامم العديدة.. اسمعي بالله مايتشدق به اعداء البشرية والبشر. اسمعي مايلفقه الملفقون، اسمعي مايفتري به الحاقدون، اسمعي ان القادري يقول ان اليهود هم عالة عليك لاتطاق).

وانبرى كاتب وقع مقالة باسم «العزي» يرد على ابن السموأل[٣] على صفحات جريدة «العالم العربي» وجاء في كلمته:

(اهدأ والا حملت الناس بانتقادك وانزعاجك من القادري لاظهار مخازي البولشفيك، على انكم تدافعون عن القضية البلشفية في البلاد (العراق). القادري لم يقصد يهود البلاد او يهود العرب، بل قصد يهود روسيا. نعلم جيداً ان القادري عازم على اعلان حقائق مرة في خصوص مداخلات الصهيونية مع البلاشفة وتشكيلاتهم وغاياتهم الخفية في بلاد العرب، كفلسطين والعراق.).

وما ان صدرت هذه الكلمة حتى قامت مجلة «المصباح» بالرد عليها وهاجمتها بشدة.[٤] وكرست عددها المرقم (٢٧)[٥] للرد على القادري من قبل هيئة تحريرها ومن كتاب آخرين. وحملت في افتتاحيتها المعنونة «حول مذكرات القادري واليهود» على القادري وعلى جريدة «العالم العربي» التي آزرته. وشارك توفيق السمعاني في الهجوم على القادري في العدد نفسه حيث نشر مقالا[illegible] تحت عنوان «حتى متى هذه التفرقة؟». كما هاجم صاحب جريدة «العالم العربي». وكتب عزرا حداد مقالة عنوانها «الحرية الفكرية تضطهد.. لينتبه الشعب!».

كما نشرت الجريدة تحت عنوان «حادث غريب في بابه» رسالة كتبها ثلاثة اشخاص رداً على مانشرته جريدة «العالم العربي» . وذكروا في مستهل كلمتهم ان جريدة «العالم العربي» لم تفسح لهم المجال لنشر كلمتهم وطلبت منهم مبلغاً من المال . ولكنهم ابوا ان يدفعوه .

ونشرت الجريدة المحاورة التي جرت بين الكتاب الثلاثة والصحفي سليم حسون مدير «العالم العربي» ، وهي محاورة طريفة اوردها الكتاب انفسهم كما ياتي :

قال سليم حسون بعد مطالعة الرد : ان ردكم ايها الاخوان مصيب ولكن لايمكن نشره في عدد الغد .

احدهم : لابأس ياسيدي من نشره في عدد بعد الغد .

المدير : كنت اود ذلك من صميم القلب ، ولكن لايمكن نشره الا بعد اربعة او خمسة ايام اذا سمحت الظروف .

احدهم : ولكن الا تعلم يامولاي ان التاخير لايحسن في مثل هذا المقام ؟

المدير : اذن فان شئتم نشره غداً فلنعتبره بصورة اعلان وليقدم الى مدير محاسبات الجريدة ليبين لكم الاجور التي يجب ان تدفعوها .

احدهم : عفواً ياسيدي المدير . ان ردنا كتبناه مناصرة للحق واظهاراً للحقيقة وتهدئة للخواطر وقمعاً للفتن ، فهل من الانصاف ان ندفع لكم اجرة عليه ؟

المدير : تعلمون ان الامر هنا لايتعلق بشخصي فحسب انما نحن شركة ، ولايمكننا نشره عاجلًا دون ان نتقاضى الاجرة المعينة .

احدهم : اذن تنشرون ذلك المقال المملوء حزازات ولاتنشرون ردنا عليه ؟

المدير : ولكن افيدكم علماً ياإخوان اننا لم ننشر ذلك الا[illegible]د حباً بسواد عيني الكاتب انما تقاضي[illegible] اجرة عنه .

احدهم : سيدي ان المفكرين (اليهود) سوف يتهافتون على صحيفتكم اذا افسحتم لردنا المجال ، ويجلونها على خدمتها للحقيقة .

المدير : ولكن اعلموا ياإخوان ان جريدتنا الغراء لايتجاوز عدد مشتركيها اليهود الثلاثة .

احدهم : وماقصدكم ياسيدي بهذا الكلام ؟

المدير : لاشيء انما اقول لايمكن نشر مقالكم بهذه العجالة . فاذا كنتم متاثرين الى هذا الحد ، واذا كانت عواطفكم قد جُرحت فلماذا لايتدخل في الامر كبراؤكم واغنياؤكم في سبيل نشر هذا المقال وغيره مايلزم لذلك من الاجرة .

احدهم : اذن فهمنا قصدكم ياحضرة الصحفي النجيب .. اعطنا المقال .

المدير : دعوا المقال فقد ننشره بعد اربعة ايام .

وكانت جريدة «العالم العربي» قد نشرت ماحدث بين الكتاب الثلاثة وسليم حسون تحت عنوان «القادري والشبان اليهود والعالم العربي»[6] :

على اثر نشرنا رد انصار القادري على انتقاد جريدة «المصباح» حضرنا بعض الشباب (اليهود) ، وفي ايديهم مقالات صبيانية يريدون نشرها على كل حال في جريدة «العالم العربي» ظنا منهم انهم (يضربون) القادري ومفكراته ورسالاته ضربة قاضية . فأفهمناهم بلطيف الكلام ان مقالاتهم لم تفرغ في قوالب جدلية معقولة .

فأصروا مغضبين ، فاكدنا لهم ان «العالم العربي» لايمكنها ان تنشر ذلك ، فألحوا في الطلب ، يريدون التباري في مضامير الجدال على غير هدى . ان القادري لم يمس عواطف يهود العراق بادنى كلام ، وقد صرح بذلك في مقالاته ، انما كان انتقاده واعتراضه على البلاشفة ويهود روسيا مما يعلمه كل احد ومما ادركه عقلاء اليهود وفضلاؤهم في بغداد .

ولما كنا من اشد الناس حرصاً على الوقت والمسالمة وراحة الجمهور ، فاننا نعلن اننا لاننشر من الردود والمقالات الا ماكان معقولًا . اما اذا اصر صاحب المقال على نشر (مبتكراته) فاننا ننشرها له (ماجورة) بمثابة (اعلان) وبامضائه الكامل ، كما فرضنا على الشبان (اليهود) المذكورين ففروا ساخطين مزمجرين .)

وقام القادري بالرد على مانشر ضد مذكراته تحت عنوان «احرجونا فاخرجونا»[7] تحدث فيها عن الحملة الصحفية التي تعرض لها وذكر بانه سيقوم بكشف اسرار التواطؤ بين اليهود القاطنين في العراق وفلسطين مع بولشفيك الروس اليهود ، والمناورات البلشفية في فلسطين وفروعها الخفية في بغداد ومساعيهم وجهودهم الواسعة النطاق لنشر الفوضى والصهيونية ودعاياتهم المضرة بين ظهراني هذه الاقوام الآمنة المطمئنة .

وختم كلمته بالقول : فلم أر بدأ من الفات انظارهم الكريمة الى الحقائق المرة التي ازمعنا على نشرها في القريب العاجل ، هذا والحق ان يقال وأن ساء في اعين البعض .

وانبرت «المصباح» ترد عى كلمة القادري[8] وذكرت في كلمة نشرتها ان القادري يلفت الانظار الى ملحق سينشره قريباً يبين فيها حقائق عن يهود العراق يجهلها اليهود . وقالت الجريدة : فالى الملتقى حين صدور الملحق ايتها الحقيقة المهانة .

ولكن الجدل انقطع عند هذا الحد ، بعد ان هدد القادري بكشف بعض الاسرار والقضايا الخطيرة التي لم تكن تخطر ببال أحد آنذاك ، كما اشار اليها القادري بكلمته .

ولو كان القادري قد نشر معلوماته المذكورة فلربما كانت قد تميزت او ساعدت على تغيير العديد من الامور . ولكن يبدو ان ثمة تدخل لايقاف سعير ذلك الجدل ، الذي لم يكن مطلقاً في صالح الحركة الصهيونية بشكل مباشر ، والبلشفية بدرجة لاحقة . وانطوت تلك المذكرات . ولم يعد احد يتذكرها او يذكرها خلال سنوات طويلة .

## الهوامش

١) مذكرات القادري ، بيان الثورة الروسية العظمى وانصياع غوامضها ، المكتبة العصرية ، بغداد ، ١٩٢٤ .
ان الاحداث والواقائع التي وردت ماخوذة من الكتاب . وهي مذكورة حسبما اوردها المؤلف .
٢) المصباح ، العدد ٢٥ ، ١٩٢٤/٩/٢٥ ، ص ٢
٣) جريدة العالم العربي القادري واليهود ، العدد ١٦١ ، ١ تشرين اول ١٩٢٤ ، ص ٢
٤) المصباح ، العدد ٢٦ في ٢ تشرين اول ١٩٢٤
٥) المصباح ، العدد ٢٧ ، ١٦ تشرين اول ١٩٢٤
٦) جريدة العالم العربي ، العدد ١٧٣ في ١٥ تشرين اول ١٩٢٤ ، ص ٢
٧) جريدة العالم العربي ، العدد ١٨٣ في ٢٦ تشرين اول ١٩٢٤ ، ص ٢
٨) المصباح ، العدد ٢٨ في ٣٠ تشرين اول ١٩٢٤ .

العدد السابع / تموز ١٩٩١م / ذي الحجة ١٤١١ هـ محرم ١٤١٢هـ السنة السادسة عشرة

# المحتويات



تعرض المقالات على نخبة من الاختصاصيين
لاتعاد المقالات الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

١١




العدد السابع / تموز ١٩٩١م / ذي الحجة ١٤١١هـ محرم ١٤١٢هـ

السنة السادسة عشرة







AFAQ ARABIA

